فى الضوء الذى تحتاجه والظروف الملائمة التى تلزمها بعد أن تهاوت وراء ضباب الخلط والالتباس ، وهزلت الهزال كله أو بعضه تحت وطأة الظلام .

نعم ، كان هذا هو الطريق الذى بدأناه ولازلنا نسير فيه ، ومن سار على الدرب وصل .. وإذا كان الطريق لا يزال ممتداً كالسهم فى أعماق الأفق وخلفنا البحر ، يحيطنا عند بعض نقاط الجذب والشد بأمواج هائلة تشبه الإجماع ، فاننا لا نريد أن نرتد أو نحيد عنه قيد شعرة ، ولن نترك الأمر حتى يطلع الفجر ، وتبين الأشياء ، ويهدأ العباب ، وترى النور الفلك ، وترى الفلك الطريق ..

وإذا كانت تلك هي الغاية وذاك هو السبيل ، فليس لنا فى هذا الفصل إلا أن نمضى على هذا النهج الذى انتهجناه ، نأخذ من الأحكام والآراء الزاد الذى ينفع الطريق ، ونضع جانباً ما من شأنه أن يثقل الرحلة أو يحجب الضوء أو تنسدل به غشاوة من فتور .

ولقد عرضنا من قبل للعقبات التى وقفت عند البعض لتحول بين العصر الإسلامي وبين أن يبدأ في الوقت الذى كان ينبغى أن يبدأ فيه ، ورأينا كيف استطاع الأدب أن يلحق بالركب لا يتخلف عنه ، ولا يتقاعس ، وإنما خف لينهض ملبياً نداء الحياة فيما ينبغى النهوض به . فالصمت والجمود الهزال وما شئت مما رمى به الباحثون الشعر فى صدر الإسلام لم تعد الآن عقبات تقف بيننا وبين أن نرى الحياة الإسلامية فى الشعر ، أو أن نرى الشعر يسير فى ركب هذه الحياة. وإذا وقع بين هذه الحياة وبين ألوان الحياة القديمة صراع فلن يتخلف الشعر عن أن يخوض هذا الصراع . وسنرى فى هذا الفصل أن الكلمة التى تجمدت على فم الشعر فى نظر القوم لم تتجمد ، وأن الشعر الذى رأوه محتضراً على أفواه الشعراء لم يحتضر ... ولم يندثر ... فما كان للاسلام أن يئد بنات الشعر وهو الذى حارب وأد البنات ، وفرق بين أن ينشأ هؤلاء تنشئة صالحة ليرفلن فى ثياب الحياة الفاضلة فى المجتمع الجديد ، وبين أن يبدو هؤلاء فى نظر القوم وقد ارتدين الأكفان وتوارين وراء ظلام الرموس .